MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT
SUPERIEURET DE LA RECHERCHE
SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et des langues
Département de langue et littérature
arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة بيداغوجية في:

مادة: قضايا اللسانيات

السنة الأولى ماستر

السداسي الثاني

للفترة الممتدة لما بعد عطلة الربيع من 2020/04/05 إلى نهاية السداسي

الأستاذ العياشي عمیار

الموسم الجامعي 2020

المحاضرة الثانية عشرة
تعلم اللغة بين المجهود والمردود (1)

توطئة : قبل الشروع في تبني نظام (ل.م.د) بالجامعة الجزائرية طُرحت جملة من التساؤلات مست جوهر منظومة التعليم العالي, وكانت تلك الأسئلة مُلحة للنهوض بهذا القطاع الحيوي من مثل:

– ما هي الأسباب التي أدت إلى إصلاح التعليم العالي؟

– ما هي المرجعيات التي ينبغي تفعيلها للنهوض بمستوى طلاب أقسام اللغة العربية في الجامعة الجزائرية ؟

– كيف يمكن لتلك المرجعيات أن تستجيب لتطلعات طلاب أقسام اللغة العربية ؟

– كيف يدرس الطالب مقاييس علوم اللسان في ظل مقاربة التدريس بالكفاءات ؟

لاشك أن هذه الأسئلة ومثيلاتها تستمد مشروعيتها من وعي الباحثين في الحقل اللساني بأن صناعة المعرفة ككل، واللسانية منها بخاصة لم تعد مبنية على أساس كمّي تراكمي بل باتت رهنا بامتلاك الطالب معارف لسانية نوعية تتيح له مجالا واسعا للتكيف مع الظروف والمواقف التي تعرض له في الحياة كي يجد لنفسه موطئ قدم خارج مدرجات الجامعة .

تحاول هذه الدراسة أن تجيب على تلك التساؤلات في ظل مقاربة التدريس بالكفاءات التي تُعدّ ثورة بيداغوجية حقيقية يتطلب إدراك عمقها وتملّك آلياتها جهدا نظريا كبيرا في حقل اللسانيات النفسية و التربوية.

و يقدر الباحثون المنصفون جهود اللسانيين في سعيهم الدؤوب إلى جعل المعرفة اللسانية علما له منهجه ومصطلحاته و موضوعه و غاياته؛ و قد أفلحوا في ذلك أيما فلاح... فغدت اللسانيات علما لا ينبغي لأحد أن ينكره أو يماري فيه، وقد عزّز من موقعها هذا استنادُها إلى رصيد وافر من المصطلحات التي حفلت بها البحوث اللسانية في أنحاء العالم ، كما انفتحت آفاق البحث فيها على حقول معرفية شتى عززت مكانة تواجدها بين نظيراتها من العلوم الأخرى المتاخمة لها كالعلوم الإنسانية (علم النفس – الفلسفة– علم التربية– علم الاجتماع...الخ).

و غنيُ عن البيان أنّ "تعليمية اللغات" علم أيضا[i]؛لأنه حقل من أهم حقول اللسانيات التطبيقية.

و بدهي أن منظومة التعليم العالي بشروعها في الإصلاح الشامل بادرت سنة 2004 [ii] إلى تقديم تكوين نوعي يستجيب لتطلعات المجتمع الجزائري و يتناغم مع التطور العالمي في مختلف الحقول العلمية و التكنولوجية، وهذه الدراسة تسلط الضوء على تعليمية اللغة العربية وعلومها في الجامعة الجزائرية من منظور المقاربة بالكفاءات التي اشتغلت عليها علوم أخرى كثيرة منذ تسعينيات القرن الماضي و في غير ما دولة من دول العالم، وتتمفصل إلى ثلاثة مباحث؛يسبقها هذا التقديم.

أولا:المرجعيات اللسانية و الفكرية في تنفيذ مقاربة التدريس بالكفايات في أقسام اللغة العربية

ثانيا:المبادئ و الأسس التي بنيت عليها مقاربة التدريس بالكفايات

ثالثا:الجوانب النفعية لتعليمية مواد اللغة العربية وفق مقاربة التدريس بالكفايات.

أولا: المرجعيات اللسانية والفكرية في تنفيذ مقاربة التدريس بالكفايات

نعني بالمرجعية – في هذا المقام – أرضية الانطلاق في بناء الأسس اللسانية والمعرفية لتعليمية مقاييس اللغة العربية في أقسامها، وإعداد الأساتذة الذين يوكل إليهم أمر تكوين الطالب في الجامعة الجزائرية، أي هي القاعدة التي ينطلق منها الفاعلون؛ منظّرون وممارسون ، وتستند هذه الأرضية إلى رصيد رافد جاءنا من تراثنا اللغوي وموروثنا الثقافي والاجتماعي، و رصيد آخر وافد انتهى إلينا من اللسانيات الغربية التي أفادت منها دراسات اللسانيين العرب فطوعتها لتستجيب لمقتضيات البحث اللغوي في التراث العربي.

وغني عن التعريف أن مقاربة التدريس بالكفايات التي تبنتها دول الاتحاد الأوربي ثم أخذت بها دول أخرى في منظوماتها التعليمية قامت ببناء مجموعة من المرجعيات اللسانية والفكرية تمثل روافد لسانية تساعد المتعلم بفعالية على توظيف المكتسبات اللسانية فيعيد استغلال ما تراكم منها تدريجيا وتدمج الجديدة منها في القديمة لتحقيق كفايات أكثر تعقيدا، ويأتي في طليعة هذه المرجعيات :

أ: الكتاب الجامعي

يحتل الكتاب الجامعي موقعا متميزا في العملية التعلّمية بل موقعا مفصليا في كل أطوار التكوين بالجامعة لأنه الوسيلة الأساسة في بناء المعرفة العلمية وإنتاجها؛ لذلك فإن توفيره وتيسير استعماله يُعدّ ضروريا لتقديم تكوين نوعي وفعّال.

وإذا كان رجال القانون قد تواضعواعلى أن الدستور هو سيد القوانين العامة الداخلية فإن المتعارف عليه لدى أهل العلم بتعليمية اللغات أن الكتاب

الجامعي هو سيد الوثائق المتضمنة للمادة العلمية بين يدي الطالب في الجامعة؛ لذلك يعدّ أهم مرجعية لسانية تساعده على بناء معارفه العلمية وأهدافها وطرائق عرضها والكفاءة التي تستهدفها؛فهو أداته البيداغوجية ووسيلته التكوينية الأولى، ومرجعه الذي يعود إليه كلما أراد الاستفسار عن مصطلح جديد.

غير أن واقع الحال بالنسبة للكتاب الجامعي غيرُ مرض إذ إنه تارة غير متوفر بالقدر الكافي ،وتارة يكون المتوفر منه مشوب بنقائص تعتورهه كقلة الجودة،أو عدم ارتباطه بمفردات المقاييس المقررة في طوري الليسانس والماستر بأقسام اللغة العربية .ولذلك تعلو شكاوى الطلبة بشأن ندرة الكتاب العلمي حينا ،وقلة مردوده حينا آخر.

وفي رأينا أن من أسباب تدني مستوى الطلاب الجامعيين تراجع المستوى العلمي للكتاب الجامعي المتخصص وغياب تحديثه، ويعود ذلك إلى جملة من النقائص منها :

1-كثرة الأخطاء اللغوية والمطبعية التي تؤثر سلبا على تلقي الطالب وعلى سلامة لغته.

2- افتقار الكتاب الجامعي إلى العمق في التحليل والمناقشة والتوسع والتنظيم ، واتصافه بسطحية الطرح .

3- تعدد المصطلحات اللسانية والأدبية واضطراب مفاهيمها وتباينها خاصة عندما يتعلق الأمر بالكتب المترجمة إلى العربية، وأنّى للطالب أن يستوعب ذلك الركام الوافر من المصطلحات للمفهوم الواحد؟.

إنّ الكتاب الجيد تميّزه دقة أفكاره، ووضوح لغته، مع ضبطٍ للمصطلحات والمفاهيم وشرحها بما يمكّن الناظر فيه من فهمها واستيعابها، كما يسهم في بيان

كيفية استعمال الوسائل، وصياغة الأهداف وبناء التعلمات، وتقويم المعارف اللسانية والأدبية للطالب داخل العملية التعلُّمية. لذلك فإن نجاح الكتاب وتحقّق فاعليته مرهونان بمدى وعي المتعلم بموضوعاته ومصطلحاته واستيعابه لها، وبمدى تطبيقه لتلك المفاهيم من جهة ثانية. لذلك فإن النهوض بالكتاب الجامعي لجعله في خدمة الطالب يستوجب اعتماد جملة من الإجراءات منها:

1-تدقيق نحوي ولغوي لكتب اللغة والأدب العربي التي يقدمها مؤلوها لاتخاذها مراجع لسانية وتكليف مدققين لغويين بذلك.

.2- تدقيق جودة الكتاب الجامعي وفقاً للمعايير المتعارف عليها بإخضاعه للخبرة العلمية، وتكليف فريق من الأساتذة لهذه المهمة كل في اختصاصه ؛ وذلك بتفعيل المخابر التي تتوافر عليها أقسام اللغة العربية في الجامعات الجزائرية.

3-تسريع وتيرة تحويل الكتب الجامعية التي تولت طبعها المطابع الجامعية إلى كتب الكترونية وتدوينها على مواقع الجامعات الجزائرية.

4- تدعيم سعر الكتاب الجامعي وتنظيم تسويقه بما يلائم مستوى دخل الطالب وإعفاؤه من الرسوم.

5- تفعيل عملية تحويل المطبوعات البيداغوجية للأساتذة إلى كتب إلكترونية وتدوينها على مواقع الجامعات ليستفيد منها الطلبة .

ب:الأستاذ الجامعي[iii].

لاشك أن التطور التكنولوجي والمعلوماتي البعيد الذي دشنته الألفية الثالثة يفرض على الجامعة الجزائرية أن تستجيب لمقتضيات هذا التطور،ولا يخفى علينا أن الأستاذ الباحث عنصر فاعل في الاستجابة لهذا التطور بما يمتلكه من كفاءات علمية تتيح له تطوير مهاراته لتأهيل و تكوين الطالب الذي تناط به مهمة التحيين المتواصل لمعارفه مع العلم أن كفاءة الأستاذ الباحث لا تقاس فقط بما لديه من حقائق علمية و معرفية في مجال تخصصه، بل بقدرته على تسخيرها في خدمة طلابه أولا؛و الجامعة والمجتمع ثانيا، ثم بكفاءته في التدريس و التزام أخلاقيات المهنة، فيتصرف كمحترف في مجال اختصاصه من خلال اطلاعه المتواصل على مايُستجدّ من المعارف اللسانية و الأدبية؛فضلا عن أن يقوم بتقويم ذاته وتثمين معارفه مبرهنا على الحس النقدي حتى يضمن لطلبته تكوينا نوعيا ذا دلالة، و لا يعني ذلك أن مهمة الأستاذ الجامعي أكاديمية علمية بحتة؛بل هي مهمة تربوية كذلك تسعى لإضفاء المسحة الثقافية على الطلبة و التأثير في سلوكاتهم و عاداتهم، وكذا طرائق تفكيرهم؛ فتكسبهم النافع و تجنبهم الضار،وتقومهم فكرا و سلوكا و هذا ما يتطلب من الأستاذ أن يكون مؤهلا تربويا إلى جانب أهليته العلمية و الأكاديمية. ويقترح الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح ثلاثة شروط للأستاذ الناجح: هي الملكة اللغوية الأصيلة و الزاد المعرفي في اللسانيات العامة، و الملكة التعليمية التي لا يحصل عليها الا بالاضطلاع على الأبحاث العلمية و التربوية، للتوسع أنظر مقاله" مدخل إلى علم اللسانيات الحديث: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية"، مجلة اللسانيات، عدد 4، معهد العلوم اللسانية و الصوتية، الجزائر، سنة1973-1974، ص11.

لقد أحدثت مقاربة التدريس بالكفاءات ثورة في مجال تصميم المناهج و الكتب

وأصبحت من أكثر المجالات جلبا للاهتمام والبحث في ميدان التكوين، نظرا لما استندت إليه من نظريات متعددة في علم النفس وعلوم التربية ، ولما أحدثته من تغييرات

جوهرية في الحكم على نواتج التعليم، وبات من الضروري أن يعكف أساتذة اللغة و الأدب العربي على دراسة تقنيات هذه المقاربة للاستفادة منها في تقديم تكوين نوعي يتجاوز ما كان سائدا في مقاربة التعليم بالمحتويات القائمة على التقديم الكمي للمعارف اللغوية و الأدبية، وهو ما يكون نتيجتُه متعلمون شُحنت أذهانهم بركام من المعارف غير أنّهم لا يستطيعون الاحتفاظ بها لأوقات طويلة ؛إذ سرعان ما تتلاشى بمضي الاختبارات أو انقضاء السنة الجامعية في أحسن الأحوال .

فتبنّي نظام "ل.م.د." لمقاربة التدريس بالكفاءات يعني أن يُقدّمُ للطالب تكوين يجعل مكتسباته اللسانية و الأدبية على محك التوظيف ،و الانتقاء ، و الإدماج حتى إذا تخرج من الجامعة أمكنه أن يتكيف مع الواقع مهما حدث فيه من تغيرات و مستجدات و إذ ذاك يستطيع أن يجد لنفسه موطئ قدم في سوق العمل خارج مدرجات الجامعة.

ثانيا :المبادئ و الأسس التي بنيت عليها مقاربة التدريس بالكفايات

استثمرت بيداغوجية التدريس بالكفاءات نتائج الدراسات اللسانية مستفيدة من أبحاث علم النفس المعرفي، كما سعت الى تعميق أبحاثها التي توائم رؤى

النظرية التوليدية وفلسفتها ومن ثمة استمدت منها أهم المبادئ والقواعد والآليات التي تساعد المتعلم على اكتساب اللغة وسبل تطويرها فضلا عن استفادتها من أبحاث علوم التربية.

إن تلك الأبحاث جميعها تشكل مرجعيات وروافد متعددة ومتنوعة تسهم في تحقيق أهداف هذه البيداغوجية الجديدة التي عُقد عليها العزم في تطوير مسار التعلم، ومن ثم تصحيح مظاهر النقص وتجاوز التعثرات التي شهدتها الجامعة الجزائرية خلال فترة اعتماد بيداغوجية المحتويات، ومن بعدها بيداغوجية الأهداف ،لأن استبدال "الكفاية" بـ "الهدف" ليس مجرد تغيير للمصطلح ،وإنما هو تغيير لهوية التصور والمنظور المؤسس لاكتساب المعارف وهو ما يعني تفعيل الذكاء عبر الفعل والتفاعل بدلا من تكوين العادات عبر المنعكسات الشرطية لذلك فإن التربيةالمعاصرةترى أن بيداغوجية الكفايات أنجع وسيلة لخدمة الإنسان بما أنها تروم استشراف عدالة داخل النظام التعليمي عن طريق الحد من النسبة العالية للإخفاق الدراسي الذي يكلف النظام التعليمي كثيرا ويشكل عائقا أمام بلوغ مرتبة "المجتمع الديمقراطي" وفضلا عن ذلك تكتسي المعرفة وفقا لتصور بيداغوجية الكفايات دلالة بالنسبة إلى المتعلم على نحو تغدو فيه مسايرة لاهتماماته وتطلعاته ومتناغمة مع محيطه خارج الجامعة من خلال تفعيلها داخل وضعيات مصاغة في مشكلات لا تنأى عما يصادفه المتعلم في حياته الاجتماعية أو المهنية.

كما أن "المعرفة اللسانية" في سياق هذه البيداغوجية تنهض على دعامة تصورية مقتضاها وجود وشائج بين البعدين النظري والتطبيقي، وتنظر إليها في منأى عن منطق المادة الدراسية الواحدة التي تؤدي إلى تفكيكها ومن ثم

تفتيت الفعل التعلمي، لذلك نظرت هذه البيداغوجية إلى علوم اللسان على أنها مواد متصلة يخدم بعضها البعض الآخر، ثم عوّلت بعد ذلك على نفي الحدود المصطنعة بين تلك المواد اللسانية و حتى الأدبية وبحثت عن القواسم المشتركة بينها. ومن ثم اتجه التعلم إلى التركيز على المعنى والفهم بدل الملاحظة والسلوك، وهذان العاملان يحصلان بالاكتشاف الاستقرائي، والاستيعاب الاستنتاجي، وهو ما يضمن تحسين التعلم واستمراره ويزيد من حيويته وفعاليته.

أ: إدماج المعارف والمكتسبات.

تبنى بيداغوجية الكفايات الجديدة على إدماج المعارف والمكتسبات في المسار التعلمي[iv]، فهي تحث المتعلم على إيجاد فترات تعلمية يدمج من خلالها معارفه ومكتسباته لإنجاز عمل محدد حيث يقوم بضم المعرفة الجديدة إلى معارفه المكتسبة سابقا ومن ثم يعيد هيكلة عالمه الداخلي وبالتالي تطبيق هذه المعارف الجديدة التي يكتسبها في وضعيات حيوية ملموسة، ويكمن الفرق بين بيداغوجية الكفايات ونظيرتها بيداغوجية المحتويات في قيام الأولى على مبدأ الاندماج، أما الثانية فتقوم على المضامين والمحتويات المفصولة بعضها عن بعض.

وتعتمد المقاربة بالكفاءات على إدماج المعارف من خلال وضعية إدماجية ذات دلالة بالنسبة للمتعلم تأتي أثناء فترة التعلم؛ أو في نهاية فترة التعلم، أو أثناء التقويم.«ويفيد الإدماج بيداغوجيا توظيف المتعلم لمختلف مكتسباته العلمية والمعرفية وتجنيدها بشكل مترابط في إطار وضعية ذات دلالة لجعل المتعلم فاعلا في إدماج مكتسباته وليس غيره، ويعني ذلك أن إدماج المكتسبات التعلمية هو عملية فردية، كما لا يمكن إدماج سوى ما هو مكتسب فعلا بصورة جيدة

بحيث يقوم الأستاذ بتمكين المتعلم من كل الأدوات التي تساعده على استثمار مكتسباته

إن أهمية الإدماج تتجلى في تكليف المتعلمين باستمرار بتشخيص مكتسباتهم القبلية رفقة المكتسبات المصاحبة بهدف حملهم على إدماج ما تعلموه من مقاييس اللغة و الأدب في نشاط بحثي شفهي أو كتابي. ويمكن الإشارة هنا إلى أن عملية الإدماج لا تؤدي بالضرورة إلى إنجاز نشاط بحثي سليم خال من الأخطاء، فالخطأ في العمل البحثي وارد خاصة لدى المحاولات الأولى للمتعلم لذلك فالخطأ بمختلف أنواعه[٧] ضروري لمساعدة المتعلم على بناء معارفه وإتاحة الفرصة الممكنة للتعرف على أخطائه والعمل على تصحيحها بنفسه. كما أن عملية الإدماج «تبين فائدة كل تعلم جزئي كما تسمح بمعرفة مدى استجابة الطالب للعمل التطبيقي الكتابي حينما ينجز بحوثا يستعمل من خلالها مهاراته وقدراته ضمن تحويل معطيات تقدم له، وفي هذا الإطار فإن حصيلة المواد التعليمية المختلفة تجد في نشاط الإدماج أحسن مجال لتوظيفها واختبارها من قبل المتعلم ومن مميزات وضعية الإدماج أنها توظف جملة من المكتسبات فتدمجها إدماجا ولا تجمعها الواحدة تلو الأخرى وهي تستند إلى صنف من المشكلات الخاصة بالمادة، وتثير رغبة المتعلم في التعلم وتدفعه إلى المزيد لذلك يجب العودة في كل مرة إلى إنتاج الطالب للبحوث حتى يقف على الأخطاء المرتكبة فيشخصها ويعالجها بالتركيز على المفاهيم غير المستوعبة والمعارف غير المكتسبة والعمل على تثبيتها وترسيخها، وبذلك تتاح له الفرصة لمعرفة أخطائه فيعمل على تصحيحها بنفسه.فالطالب دائما مطالب بتحديد الكفاءات المستهدفة وتحديد المكتسبات التي يريد أن يجندها ومن ثم إدماجها في وضعيات

جديدة على أن تكون ذات دلالـة، ويراعى في ذلك محتوى المادة أو البحث الذي يريد إنجازه وكذا الوسائل المستخدمة فيه وخطوات الإنجاز»[vi]

انتهى الدرس